

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَصَصُ النَّبِيِّينَ

اجزاء الرابع

تأليف

ابو الحسن علي احسن الندوي

مجلس نشریات اسلامیہ

۱۔ کے۔ ۳۔ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد راجپوت کراچی ۷۴۰۰

قُصَّةُ النَّبِيِّينَ

الجزء الرابع

تأليف
أبو الحسن علي الحسن بن النّدوي

مَجْلِسُ نَشْرِ دِيَارِ سَلَامَةِ

۱۔ ۳۔ ناظم آباد نیشنل ۵۔ نظم آباد ۱۔ ۵۔ کراچی ۱۸

الحقوق محفوظة للناسر

پاکستان میں جملہ حقوق طبع و اشاعت

بحق فضل ربی ندوی محفوظ ہیں

لہذا کوئی نسخہ دیا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کرے

ورنہ ان کے خلاف قانونی کارروائی کی جائے گی

نام کتاب	قصص النبیین (جہارم)
تصنیف	ابوالحسن علی الحسنی ندویؒ
طبعیت	احمد برادرزیر نٹرز - کراچی
اشاعت	۲۰۰۸ء
صفحات	۸۴ صفحات

ٹیلیفون

۶۶۰۱۸۱۴

اسٹاکٹ: مکتبہ ندوہ قائم سینٹر اردو بازار کراچی

فون ۲۶۳۸۹۱۴

ناسر

فضل ربی ندوی

مجلس نشریات اسلام کے ۳۔ ناظم آباد میٹن ناظم آباد کراچی ۲۰۰۸ء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.
أما بعد ، فإن كاتب هذه السطور يَحْمَدُ اللهَ على
أنَّه وفقه ليعود إلى سلسلة «قصص النبيين للأطفال» ،
بعد فترة طالت مدَّة ثلاثين سنة ، فقد كانت بداية
هذه السلسلة في سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م ، وإتمامها على
الجزء الثالث المشتمل على قصة سيدنا موسى - عليه
وعلى نبينا الصِّلَاة والسلام - في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ،
ثم شغل المؤلف بأعمال كتابية تأليفية أخرى ، ورحلات
طويلة متوالية ، صهرفته عن إتمام هذه السلسلة التي
رزقها الله قبولاً عظيماً في حلقات التعليم والمدارس الشعبية
والحكومية في شبه القارة الهندية والبلاد العربية ،
وصدرت لها طبعات في القاهرة وبيروت .

والْحَمْدُ لبعض رجال التعليم والتربية وقادة الفكر

على إتمام هذه السلسلة بقصص مَنْ بَقِيَ مِنَ الأنبياء
 بعد سيدنا موسى ، وإكمالها بقصة خاتم النبيين ﷺ
 وسَلَامُهُ ، فهي مسك الختام ، ونهاية المطاف ، ورأوا أَنَّ
 هذا العمل أفضل وأجدي من كثير مما يشغل المؤلف
 ومن الموضوعات التي يُعالجها ، وكان المؤلف يشعر في
 بعض الأحيان بأن الأمر ما عاد سهلاً له ، لبعده العهد
 به ، وأنه يصعب عليه أن ينزل إلى مستوى الأطفال
 وأسلوبهم واللغة التي يفهمونها ، ولكن الله يسر له هذه
 المهمة ، فَوَضَعَ الجزء الرابع في شهر رمضان سنة
 ١٣٩٥ هـ ، وهو الذي بين يدي القراء ، ثم وفقه الله
 لوضع الجزء الخامس المشتمل على السيرة النبوية على
 صاحبها الصلوة والسلام ، وسيلى هذا الجزء إن شاء
 الله ، والحمد لله الذي بعثته وجلاله تتم الصالحات ،
 والصلوة والسلام على خير خلقه محمد ﷺ وسلم .

أبو الحسن علي الحسني لنووي
 دار المعلمين العالية - لكرنول (الهند)
 ١٦ / شوال سنة ١٣٩٦ هـ

التَّنبِيْهُ

نرهبو حضرت القراء الانتباه للرموز التالية
أثناء قراءتهم لهذا الكتاب .

الحركات في الحروف المشددة تكون مع التشديد،
فمثلاً: الفتحة في التشديد تكون فوقه، كما تراها
فوق حرف « الصاد » في كلمة « قِصَّة ». والكسرة تكون
تحت التشديد، كما تراها في كلمة « سيِّد ». والضمة
تكون فوق التشديد، كما تراها على حرف « اللَّام » في
كلمة « كُلُّ » في جملة « هُوَ كُلُّ مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ » .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قِصَّةُ سَيِّدِنَا شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- نَظَرَةٌ عَلَى الْقِصَصِ السَّابِقَةِ

قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدِنَا يُوسُفَ، وَقَرَأْتُمْ
قِصَّةَ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا هُودٍ وَسَيِّدِنَا صَالِحٍ، قَرَأْتُمْ قِصَّةَ
سَيِّدِنَا مُوسَى فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّطْوِيلِ، قَرَأْتُمْ كُلَّ
ذَلِكَ بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ، وَإِجْلَالٍ وَتَقْدِيرٍ، وَحَلَّتْ فِي
نُفُوسِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ مَحَلٌّ الْقِصَصِ الْحَبِيبَةِ الْأَثِيرَةِ، وَوَعَتْهَا
ذَاكِرَتُكُمْ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُكُمْ، وَقَدْ رَأَى النَّاسُ تَخَكُّونَهَا
لِإِخْوَتِكُمُ الصِّغَارِ، وَتُرَدَّدُونَهَا لِلْأَبْوَيْنِ وَالْإِخْوَةِ الْكِبَارِ،
وَأَنْتُمْ تَتَذَوَّقُونَهَا، وَقَدْ تَتَحَمَّسُونَ فِي حِكَايَتِهَا.

٢- قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

وَلَا غَرَابَةَ، فَإِنَّهَا قِصَّةٌ شَائِقَةٌ مُثِيرَةٌ، وَإِنَّهَا قِصَّةُ
صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَبَيْنَ النُّورِ

وَالظَّلَامَ ، وَبَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ ، وَبَيْنَ الْجَزْمِ وَالْيَقِينِ ،
وَالظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ .

ثُمَّ إِنَّهَا قِصَّةُ انْتِصَارِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْعِلْمِ عَلَى
الْجَهْلِ ، وَالضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِي ، وَالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ ، قِصَّةٌ
فِيهَا عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ :
« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

٣- وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

وَلَيْسَ مَا حَكَيْنَاهُ لَكُمْ مِنْ قِصَصِ النَّبِيِّينَ ، هُوَ كُلُّ مَا
حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِهِمْ وَحِكَايَاتِهِمْ ، فِي الْقُرْآنِ
قِصَصٌ غَيْرُ هَذِهِ الْقِصَصِ .

فِيهِ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى
مَدِينِ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ تِجَارَةِ وَسِيلَجٍ .
فَقَدْ كَانُوا عَلَى الْجَادَةِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّامِ

وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَمِصْرَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ .
 كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ ، كَمَا كَانَتْ أُمَّمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ
 عَصْرٍ ، وَكَانُوا - زِيَادَةً إِلَى ذَلِكَ - يَنْقُصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ،
 وَيُطْفَفُونَ فِي الْكِيلِ ، وَتَتَعَرَّضُونَ لِلْقَوَافِلِ ، فَيَتَوَعَّدُونَهَا
 وَيُخَيِّفُونَهَا ، وَيَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، شَأْنُ الْأَغْنِيَاءِ
 الْأَقْوِيَاءِ ، الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَلَا يَخْشَوْنَ عَذَابًا .
 فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ شُعَيْبًا يَدْعُوهُمْ وَيُنذِرُهُمْ ،
 وَيَقُولُ لَهُمْ : « يَقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ »
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَى كُفْرًا بَخِيرًا وَإِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ بِهِ وَيَقُومُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
 بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .

٤- دَعْوَةُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَيَنْبَسُطُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَيَحُلُّ عُقْدَةً فِي نَفْسِهِمْ ،
 وَهِيَ عُقْدَةُ حُبِّ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ ، فَيَقُولُ :

إِنَّ مَا يَفْضُلُ لَكُمْ مِنَ الرِّيحِ بَعْدَ وَفَاءِ الْكِيلِ وَالْمِيزَانِ
 خَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ ، وَإِذَا
 نَظَرْتُمْ فِي حَيَاتِكُمْ وَفِي حَيَاةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَوْا وَجَمَعُوا
 الْأَمْوَالَ ، وَجَدْتُمْ أَنَّ مَا اكْتَسَبُوهُ عَنْ طَرِيقِ التَّطْفِيفِ
 وَالْبَخْسِ وَالْخِيَانَةِ ، كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى التَّلَفِ وَالْخُسْيَانِ ، أَوْ
 الْفَسَادِ وَالْبَلَاءِ ، فَسُرِقَ أَوْ نُهِبَ ، أَوْ أُتْفِقَ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي
 اللَّهَ ، أَوْ سُلِّطَ عَلَيْهِ مَنْ أَتْلَفَهُ وَعَبَثَ بِهِ ، وَالْقَلِيلُ
 الَّذِي يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ : « قُلْ لَا يَسْتَوِي
 الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ »
 وَنَصِيحَتِي لَكُمْ خَالِصَةٌ مُخْلِصَةٌ ، وَاللَّهُ هُوَ الرَّقِيبُ
 عَلَيْكُمْ وَخَدَهُ . يَقُولُ فِي رَفْقٍ وَحِكْمَةٍ وَعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ :
 « بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ »

٥ - أَبٌ رَّحِيمٌ وَمُعَلِّمٌ حَكِيمٌ

وَيَتَنَوَّعُ لَهُمْ فِي الْخِطَابِ ، وَيَتَفَنَّنُ فِي النَّصِيحَةِ ،
 شَأْنَ الْأَبِ الرَّحِيمِ وَالْمُعَلِّمِ الْحَكِيمِ ، فَيَقُولُ ،

يَقُومُوا لِلَّهِ مَالِكُمْ مِنْ دُونِهِ قَدْ جَاءَكُمْ
 بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ
 خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ
 وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
 وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُفْسِدِينَ ٥

٦- جَوَابُ قَوْمِهِ

وَقَدْ دَقَّقَ أَذْكَاءُهُمْ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَتَعْلِيلِهَا
 وَقَالُوا فِي تَبَيُّنِهِ وَزَهْوِ كَانَتْهُمْ اكْتَشَفُوا سِرًّا أَوْفَكُوا لَفْزَةً
 وَيُسْغِيبُ أَهْلَؤُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
 أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ٥

٧- شُعَيْبٌ يَشْرَحُ دَعْوَتَهُ

وَتَلَطَّفَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ، فَلَمْ يَقْسُ وَلَمْ يَفْضَبْ ،

وَأَفْهَمَهُمْ أَنَّهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ بَعْدَ صَمْتٍ طَوِيلٍ وَعَدَمِ تَعَرُّضٍ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ فَاسِدَةٍ وَتَصَرُّفَاتٍ جَائِزَةٍ، إِلَّا مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ أَحْيَرًا، بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا شَرَحَ لَهُ حَبْدَهُ وَآتَاهُ نُورًا مِّنْ عِنْدِهِ .

وَأَنَّهُ لَا يَخْجِلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَدُ ، فَقَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَزَقَهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ سَعِيدٌ ، هَنِيءُ النَّفْسِ ، رَخِيءُ الْبَالِ ، شَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْهَاهُمْ عَنْ أَمْرِ وَيَرْتَكِبُهُ ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَيَأْتِيهِ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِثْمِ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ إِضْلَاحَهُمْ وَإِسْعَادَهُمْ وَإِنْقَادَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُحَلِّقُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَإِنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ .

وَقَالَ : يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِّنْ بِلَدٍ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِضْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا

تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٢٥.

٨ - مَانَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ

وَجَاهَلَ الْقَوْمُ مَا أَرَادَهُ شُعَيْبٌ ، كَأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ
فِي لُغَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ ، مَعَ أَنَّهُ ابْنُ الْبَلَدِ وَأَخُو الْقَوْمِ ، وَكَأَنَّهُ
كَانَ غَيْرَ مُبِينٍ فِي كَلَامِهِ غَيْرَ مُفْصِحٍ ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ
أَبْلَغِهِمْ كَلَامًا وَأَفْصَحِهِمْ بَيَانًا ، وَهَكَذَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا
كَبُرَتْ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةُ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ .

٩ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ

وَتَعَلَّلُوا بِضَعْفِهِ وَوَحْدَتِهِ وَأَنَّهُ لَوْلَا عَشِيرَتُهُ وَقَرَابَتُهُمْ
لَهُ لَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ وَتَخَلَّصُوا مِنْهُ ، وَقَدْ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ شُعَيْبٌ
وَتَعَجَّبَ مِنْ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ وَالْقَوِيُّ الْقَاهِرُ ،
أَفْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَشِيرَةٍ هِيَ غُرَضُهُ لِلْأَمْرَاضِ وَالْهَلَاكِ
وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ .

وَقَالُوا : يَشُعَيْبُ مَانَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ

فِينَا ضَعِيفًا. وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ
 قَالَ : يَقُومُ أَرْهَطِي أَعِزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ۖ وَاتَّخِذُوا وَرَاءَكُمْ
 ظَهْرِيَاءَ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝

١٠- السَّهْمُ الْأَخِيرُ

وَلَمَّا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ أَطْلَقُوا السَّهْمَ الْأَخِيرَ الَّذِي
 أَطْلَقَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ :
 « قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ
 يَشُوعَ بْنَ وَهْلَانَ أَوْ نَتَّبِعَنَّكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا،

١١- حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ

فَكَانَ جَوَابُهُ جَوَابَ فَخُورٍ بِدِينِهِ ، غَيُورٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ
 وَضَمِيرِهِ : « قَالَ : أَوْلَوْكُمْنَا كَارِهِينَ ۚ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ
 لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۖ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ
 عِلْمًا ۚ عَلِمَ اللَّهُ تَوَكُّلَنَا رَبَّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ٥ .

١٣- بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ

فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ ، بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ : « قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ٥ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَحْنُكَ
لَمِنَ الْكَذِبِينَ ٥ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ٥ » .

١٣- عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا

وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ وَاحِدَةً ، عَاقِبَةُ كُلِّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا
وَكَفَرَتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ : « فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُثَمِينَ ٥ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْقَهُوا فِيهَا ٥ الَّذِينَ
كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ٥ » .

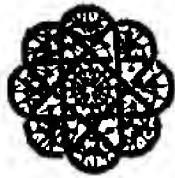
١٤- بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ

وَكَانَ شَأْنُ شُعَيْبٍ شَأْنُ كُلِّ نَبِيٍّ بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى

الْأَمَانَةَ ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ :

« فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ : يُقَوْمَ لَقَدْ أَتَلَفْتُكُمْ رَسُولَتِ

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ » .



قِصَّةُ سَيِّدَا دَاوُدَ وَسَيِّدَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

وَلَمْ يَفْتَحِرِ الْقُرْآنُ عَلَى ذِكْرِ آيَاتِ اللَّهِ وَمَآلِقِيهِ الْأَنْبِيَاءِ
وَالرُّسُلِ مِنْ تَكْذِيبٍ وَسُخْرِيَةٍ وَإِمَانَةٍ وَمُطَارَدَةٍ مِنَ الْأُمَمِ
الَّتِي بُعِثُوا فِيهَا، وَمَا لَقِيتَ مِنْهُ الْأُمَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ وَعَذَابٍ،
وَهَلَاكِ وَدَمَارٍ، لِتَكْذِيبِهَا لِلرُّسُلِ، وَاسْتِهْزَائِهَا بِهِمْ، وَكَيْدِهَا
لَهُمْ، وَمَمَّهَا بِقَتْلِهِمْ، كَمَا مَرَّ بِكُمْ فِي قِصَصِ النَّبِيِّينَ .

١- الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنِ آلَاءِ اللَّهِ

بَلْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ كَثِيرًا عَنِ آلَاءِ اللَّهِ، وَحَكَى فِي
بَسْطِ أَخْيَانًا وَفِي اخْتِصَارِ أَخْيَانًا عَنْ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ، أَنْعَمَ بِهَا
عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْهُمْ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ، وَمِنْهُمْ
أَيُّوبُ وَيُونُسُ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى .

فَلَمَّا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ فَقَدْ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُمَا فِي
الْأَرْضِ، وَوَسَّعَ لَهُمَا فِي الْمُلْكِ، وَمَدَّ لَهُمَا فِي الْعِلْمِ،

وَعَلَّمَهُمَا كَثِيرًا مِمَّا جَهِلَهُ النَّاسُ ، سَخَّرَ لَهُمَا الْأَقْوِيَاءَ
وَالْعُتَادَ ، وَمَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجِمَادَاتِ ، فَقَالَ :
« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ، وَقَالَا : الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ
سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ
وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝ » .

٢- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ

فَإِذَا دَاوُدَ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَجَابُرُ
مَعَهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ التُّدْوِعِ ، وَالْآنَ
لَهُ الْحَدِيدُ :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ، يُجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ
وَالطَّيْرُ ، وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنْ اْعْمَلْ سِيفًا وَقَدِّرْ
فِي السَّرْدِ وَاغْمَلُوا صَالِحًا ، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ » .

وَيَقُولُ : « وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لَتُخَصِّنَّكُمْ مِنْ

بِأَسْكُنُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝

٣- شُكْرُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَةِ

وَكَانَ دَاوُدُ مَعَ هَذَا الْمُلِكِ الْوَاسِعِ وَالْيَدِ الْحَازِقَةِ الْقَوِيَّةِ
عَبْدًا خَاشِعًا أَوَّابًا ، دَائِمَ الذِّكْرِ ، طَوِيلَ الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ ،
حَاكِمًا مُقْسِطًا ، يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا يُحَاسِبُ ، يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى :

« يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ »

٤- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ

فَإِذَا سُلَيْمَانُ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الرِّيَّاحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
وَتَحْمِلُهُ مِنْ مَّكَانٍ إِلَى مَّكَانٍ ، فَيَصِلُ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ
وَأَسْرَعَ زَمَانٍ ، وَسَخَّرَ لَهُ الْأَقْوِيَاءَ وَالْحَازِقِينَ مِنَ الْجِنِّ ،

وَالْمَارِدِينَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، يُنْفَذُونَ أَوَامِرَهُ ، وَيَكْمِلُونَ
مَشَارِيعَهُ الْعُمَرَانِيَّةَ وَالْبَنَائِيَّةَ الْعِمْلَاقَةَ .

« وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ، وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ هـ وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ
مَنْ يَفْغُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ هـ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ هـ ،

« وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ هـ
وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْغَنَاءَ وَالْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
بِإِذْنِ رَبِّهِ هـ وَمَنْ يَنْزَغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
السَّعِيرِ هـ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَثَّلَ وَجْهَانِ
كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رُشِيتَ هـ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ
مَنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ هـ .»

٥ - فِقْهٌ دَقِيقٌ وَعِلْمٌ عَمِيقٌ

وَقَدْ تَجَلَّى ذِكَاؤُهُ وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْحُكْمِ الصَّحِيحِ فِي
قَضِيَّتِهِ رُفِئَتْ إِلَى وَالِدِهِ الْعَظِيمِ ، فَكَانَ لِقَوْمٍ كَرَّمَ قَدْ أَنْبَتَ

عَنَاقِيدَهُ ، فَدَخَلَتْ فِيهِ غَنَمٌ لِقَوْمٍ فَأَفْسَدَتْهُ ، فَقَضَى
 دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لَصَاحِبِ الْكَزْمِ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : غَيْرُ هَذَا
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ . قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ . قَالَ : تَدْفَعُ الْكَزْمَ إِلَى
 صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى
 صَاحِبِ الْكَزْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَزْمُ كَمَا
 كَانَ ، دَفَعْتَ الْكَزْمَ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى
 صَاحِبِهَا .

وَحَبَّهُ اللَّهُ بِفَقْهِهِ دَقِيقٍ وَعِلْمِهِ عَمِيقٍ فَقَالَ : « وَدَاوُدُ
 وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَخْكُمُنِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ
 وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۖ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلًّا آتَيْنَا
 حُكْمًا وَعِلْمًا » .

٦- سُلَيْمَانُ يَمْرِفُ

لَفَنَةِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ

وَقَصَّ الْقُرْآنُ قِصَّةَ حِكْمَةِ مُشْعَّةٍ تَجَلَّى فِيهَا تَبْقُظُ
 سُلَيْمَانُ فِي تَذْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَرَهْبَةِ سُلْطَانِهِ ، كَيْفَ جَمَعَ اللَّهُ
 لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبَيْنَ الْمُلْكِ وَالْإِيمَانِ وَالنَّبُوَّةِ

وَالرَّسَالَةِ فِي الدِّينِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ لَفَتَهُ الطَّيْرَ وَالْحَيَوَانَ ، وَجَمَعَ
 جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ذَاتَ مَرَّةٍ ، وَرَكِبَ فِيهِمْ فِي
 أَبْهَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَكَانُوا عَلَى نِظَامٍ كَامِلٍ ، وَكَانُوا فِي قِيَادَةِ
 رُؤَسَائِهِمْ ، فَمَرَّ سُلَيْمَانُ عَلَى وَادِي النَّملِ ، فَخَافَتْ نَمْلَةٌ
 عَلَى قَبِيلَتِهَا أَنْ تُحْطَمَ الْخَيُْولُ بِخَوَافِرِهَا ، وَلَا يَشْعُرَ بِذَلِكَ
 سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، فَأَمَرَتْهُمْ بِالدُّخُولِ فِي مَسَاكِينِهِمْ ، فَفَعِلَ
 ذَلِكَ سُلَيْمَانُ ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ الشَّيْءُ وَلَا الزَّفْوُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ
 أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ، بَلْ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ
 نِعْمَتِهِ ، وَالِدُّعَاءِ لِلتَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِنْخِرَاطِ فِي
 سَبِيلِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .

٧- قِصَّةُ هُدُودِ

وَكَانَ الْهُدُودُ رَاضِيَةً وَعَيْنُهُ يَدُلُّهُ عَلَى مَوَاضِعِ
 الْمِيَاهِ ، وَمَنَازِلِ الْجَنِّشِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَهُ ،
 فَقَابَ زَمَانًا يَسِيرًا ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ : أَطَلَقْتُ عَلَى
 مَا لَمْ تَطْلُغْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَا جُنُودُكَ ، وَجِئْتُكَ بِخَبَرِ هُدُودِ

عَنْ سَبَأٍ وَمَمْلِكِيَّتِهِمْ ، لَهُمْ مُلْكٌ عَظِيمٌ وَدَوْلَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَقَدْ
وَجَدْتُهُمْ - عَلَى هَذَا الْعَقْلِ وَالْكِيَّاسَةِ وَالْمُلْكِ وَالرَّعَاسَةِ -
لِصَحَابِ سَفَاهَةٍ وَجَهَالَةٍ ، وَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ، وَلَا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
وَحَدَّهُ .

٨ - سُليمانُ يَدْعُو مَلِكَةَ سَبَأَ إِلَى دِينِهِ

وَشَقَّ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِحِوَارِ مَمْلَكِيَّتِهِ مُلْكٌ
وَأُمَّةٌ لَا يَتَرَفُّهَا وَلَمْ تَبْلُغْهَا دَعْوَتُهُ ، وَلَا تَزَالُ تَعْبُدُ الشَّمْسَ ،
وَنَارَتْ فِيهِ الْحَيَّةُ الدِّينِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ ، وَرَأَى مِنَ الصَّوَابِ
أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مَلِكِيَّتِهَا وَحَاكِمِيَّتِهَا الْمُشْرِكَةِ ، وَيَدْعُوَهَا
إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَالطَّاعَةِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَزْحَفَ
عَلَى بِلَادِهَا بِجُودِهِ الْقَاهِرَةِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا كِتَابًا بَلِيغًا وَدَعَاها
فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ، وَالْكِتَابُ يَجْمَعُ بَيْنَ
الرَّقَّةِ وَالصَّهْرَامَةِ وَتَوَاضِعِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرَةِ الْمُلُوكِ .



٩- الْمَلِكَةُ تَسْتَشِيرُ أَرْكَانَ دَوْلَتِهَا

فَقَدْ كَانَتْ سُلَيْمَانُ جَامِعًا بَيْنَهُمَا ، وَكَانَتْ الْمَلِكَةُ الَّتِي تَحْكُمُ
 مِنْهُ الْبِلَادَ عَاقِلَةً غَيْرَ مُتَسَرِّعَةٍ فِي الْحُكْمِ ، عِنْدَهَا تَجَارِبُ
 وَاسِعَةٌ مِنْ سِيرِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْفَاتِحِينَ ، وَلِأَنَّهَا خَانَتْهَا عَقْلُهَا
 فِي مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ وَعِبَادَتِهِ ، فَلَمْ تَأْخُذْهَا حَيَّةُ الْمُلُوكِ ، وَلَمْ
 تَسْتَبِدَّ بِالرَّأْيِ ، فَأَطْلَعَتْ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَتِهَا عَلَى
 هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ الْكُتُبِ ، إِنَّهُ كِتَابُ
 مَنْ أَعْظَمَ الْمُلُوكِ فِي زَمَانِهَا وَمِنْ نَبِيٍّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ
 وَلَمَّا بَدَأَ أَرْكَانُ دَوْلَتِهَا يُدِلُّونَ بِقُوَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ جُيُوشِهِمْ
 إِرْضَاءً وَتَمَلُّقًا - شَأْنَ جُلَسَاءِ الْمُلُوكِ وَ الْحُكَّامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ
 وَمَكَانٍ - لَمْ تَقْبَلْ مَقَالَتَهُمْ وَلَمْ تُوَافِقْهُمْ عَلَيْهَا ، بَلْ حَدَّثَتْهُمْ
 مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، وَذَكَرَتْهُمْ بِسِيرَةِ الْمُلُوكِ الْفَاتِحِينَ فِي
 الْأُمَمِ الْمَفْتُوحَةِ وَمَصِيرِهَا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَالْإِنْكَسَارِ ، وَقَالَتْ
 سَيَكُونُ هَذَا شَأْنُ بِلَادِنَا وَأُمَّتِنَا ، وَقَالَتْ لَهُمْ : إِنِّي
 سَأُرْسِلُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدَايَا وَحُلُوفٍ فَأَمْتَحِنُهُ بِهَا ، فَإِنْ

قِيلَ الْهَدِيَّةُ فَهُوَ مَلِكٌ فَقَاتِلُوهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ .

١- هَدِيَّةُ مُسَاوَمَةٍ

وَنَشَتْ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لِاثْقَةِ بِالْمُلُوكِ ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ أَعْرَضَ عَنْهَا وَزَهَّدَ فِيهَا ، وَقَالَ :
أَتُسَاوِمُونَنِي بِمَالٍ لِأَتَرْكَكُم عَلَى شُرَكَائِكُمْ وَمُلِكِكُمْ ؛ وَالَّذِي
أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْمَلِكِ وَالْمَالِ وَالْجُنُودِ ، خَيْرٌ مِّمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ،
وَالْأَمْرُ جِدٌّ لَيْسَ بِهَزلٍ ، وَالْقَضِيَّةُ قَضِيَّةٌ دَعْوَةٌ وَطَاعَةٌ ،
لَيْسَتْ قَضِيَّةَ مُسَاوَمَةٍ ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَضْدِهِ لَهُمْ وَزَحْفِهِ
عَلَى مُلِكِهِمْ

١١- الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاضِعَةً

فَلَمَّا رَجَعَتْ هَذِهِ الْبَغْتَةُ إِلَى مَلِكَةِ سَبَأَ ، وَحَكَتْ
لَهَا الْقِصَّةَ ، سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا ، وَأَقْبَلَتْ تَسِيرُ
إِلَيْهِ فِي جُنُودِهَا خَاضِعَةً ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قُدُومَهُمْ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَهَا

آيَةً مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ
عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَأَرَادَ أَنْ يُخْضِرَ عَرْشَهَا الَّذِي وَكَلَتْ بِهِ رِجَالًا
أَقْوِيَاءَ أُمْنَاءَ ، فَطَلَبَ مِنْ مَلَأُوْهُ أَنْ يَأْتُوهُ بِعَرْشِهَا قَبْلَ وَصُولِ
هَذَا الْمَوْكِبِ الْعَظِيمِ .

وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا أَرَادَ سُلَيْمَانُ فِي أَقْرَبِ بَوَاقٍ وَكَانَ
مُعْجِزَةً ، وَأَمْرِيهِ سُلَيْمَانُ فَغَيَّرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ ، لِيُخْتَبِرَ
مَعْرِفَتَهَا وَثَبَاتَهَا عِنْدَ رُؤْيِيهِ ، وَإِنْ التَّبَسَّ عَلَيْهَا الْأَمْرُ
كَانَ دَلِيلًا عَلَى قُصُورِ نَظَرِهَا فِي أُمُورٍ أَدَقَّ مِنْهُ وَأَبْعَدَ
مَنَالًا .

١٢- قَصْرٌ عَظِيمٌ مِنْ رُجَاجٍ

وَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الْبَنَاتَيْنِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، قَبْتَوَا
لَهَا قَصْرًا عَظِيمًا مِنْ رُجَاجٍ ، وَأَجْرُوا تَحْتَهُ الْمَاءَ ، فَالَّذِي
لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ يَحْسَبُ أَنَّهُ مَاءٌ ، وَلَكِنَّ الرُّجَاجَ يَحُولُ
بَيْنَ الْمَاشِي وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَكَانَ الْمَوْكِدُ أَنَّ الْمَلِكَةَ
تَنَوَّهُهُ مَاءً فَتَكْشِفُ عَنْ سَاقِيهَا ، وَهُنَالِكَ تَتَبَيَّنُ الْخَطَأُ ،

وَتُذْرِكُ قُصُورَ نَظَرِهَا وَاتَّخِذَاعَهَا بِالْمَظَاهِرِ ، وَكَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ، لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لِلنُّورِ وَالْحَيَاةِ ،
الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمُنَالِكَ يَنْكَشِفُ الْفُطَاءُ
عَنْ عَيْنَيْهَا ، فَتَعْرِفُ أَنَّهَا كَمَا أَخْطَأْتُ فِي مُعَامَلَةِ الزُّجَاجِ
مُعَامَلَةَ الْمَاءِ فَكَشَفْتَ عَنْ سَاقِيهَا ، كَذَلِكَ أَخْطَأْتُ
فِي مُعَامَلَةِ الشَّمْسِ مُعَامَلَةَ الْخَالِقِ فَسَجَدْتُ لَهَا وَ
عَبَدْتُهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ مِنْ مِائَةِ خُطْبَةٍ وَالْفِ دَلِيلِ .

١٣- وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَهَكَذَا كَانَ ، فَقَدْ تَوَرَّطْتُ رَغَمَ دَهَائِهَا وَذَكَائِهَا
فِي هَذَا الْخَطَأِ الْفَاحِشِ ، وَتَوَقَّعْتُ الزُّجْلَةَ مَاءً رَفَاقًا
يَسِيلُ وَيَمُوجُ ، فَكَشَفْتَ عَنْ سَاقِيهَا ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَخُوضَهُ
مُنَالِكَ نَبَّهَهَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ عَلَى خَطَايَا ، وَقَالَ :
إِنَّهُ صَرَحَ مُتَرَدِّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ، وَانْكَشَفَ الْفُطَاءُ عَنْ عَيْنَيْهَا ،
وَعَرَفَتْ جَهْلَهَا فِي قِيَاسِ الْمَظْهَرِ عَلَى الظَّاهِرِ ، وَعِبَادَةِ
الشَّمْسِ وَالسُّجُودِ لَهَا ، وَابْتَدَرْتُ تَقُولُ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

١٤- الْقُرْآنُ يُحْكِي قِصَّةَ سُلَيْمَانَ

وَأَقْرَأُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ الشَّائِقَةَ الْمُنْتَبَهَةَ فِي

الْقُرْآنِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

« وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانِ

مِنَ الْفَآئِسِينَ ۚ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ

أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ۚ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ :

أَحْطَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۚ

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا

عَرْشٌ عَظِيمٌ ۚ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ

عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ إِلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي

يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ

وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

قَالَ : سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ إِذْ هَبْ

بَكَيْتِي هَذَا فَأَلْفَنَّهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ
 قَالَتْ : يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أَخْتَبُ إِلَيْكُمْ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ
 وَلَهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُوْنِي
 مُسْلِمِينَ ۚ قَالَتْ : يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ۚ
 مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون ۚ قَالُوا : نَحْنُ أَوْلُو
 قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ۚ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا
 تَأْمُرِينَ ۚ قَالَتْ : إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
 وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۚ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۚ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
 إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنْظُرُوا يَوْمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۚ فَلَمَّا جَاءَ
 سُلَيْمٌ قَالَ : أَتَيْدُونَنِ بِمَالٍ زَفَمًا إِنِّي أَتِيْتُ اللَّهَ خَيْرُ
 مِمَّا أَتَيْتُمْ بِهِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۚ إِنْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ
 فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً
 وَهُمْ صَاغِرُونَ ۚ قَالَ : يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
 قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۚ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ : أَنَا
 أَتِيكَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ۚ وَإِنِّي عَلَيْكَ
 لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۚ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ : أَنَا

إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا
عِنْدَهُ قَالَ : مُذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي تَدْرِي بِلُؤِي ۚ أَشْكُرُ
أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ قَالَ : تَكُورُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ
أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَلَسَتْ
قِيلَ : أَمَكَذَا عَرْشُكَ ۚ قَالَتْ : كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ
مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ۚ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّرْحَ ۚ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
سَاقِيهَا ۚ قَالَ : إِنَّهُ صَرْحٌ مُتَدَدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۚ قَالَتْ :
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٍ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝

وَمُذَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَوَاقِفَهُ
فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ ، وَحِكْمَتَهُ وَفِقَّتَهُ
وَعَظِيمَتَهُ عَلَى دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ .

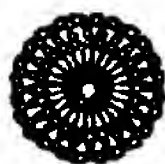


١٥- وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

نَسَبَ إِلَيْهِ الْيَهُودُ مَا لَا يَلِيْقُ بِمُؤْمِنٍ مُّوَحِّدٍ
 شَرَحَ اللَّهُ هَذَرَهُ لِلْإِيمَانِ ، فَضْلًا عَنْ نَبِيِّ مُّزْسَلٍ
 آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، وَأَكْرَمَهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَشَرَّفَهُ بِالْخِلَافَةِ
 فَتَسَبَّوْا إِلَيْهِ الشَّخَرَ وَالْكَفَرَ ، وَالْمُدَاهَنَةَ لِلشُّرْكِ ، وَ
 الْإِخْطِرَابَ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ بِسَبَبِ أَزْوَاجِهِ ، فَتَبَرَّاهُ
 اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
 يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخَرَ. » وَقَالَ : « وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ
 نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ هـ. » وَقَالَ : « وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
 لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ هـ. »



قِصَّةُ سَيِّدِ الْيُتُوبِ وَسَيِّدِ نَارِيصَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

١- قِصَّةُ يُتُوبَ نَمَطُ آخَرُ

مِنَ الْقِصَصِ

وَقِصَّةُ يُتُوبَ فِي الْقُرْآنِ نَمَطُ آخَرُ مِنَ الْقِصَصِ،
وَمَظْهَرُ آخَرُ مِنْ مَظَاهِرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ،
الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ، وَالْأَنْبِيَاءِ الْمَحْبُوبِينَ؛ فَقَدْ
كَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ شَيْءٌ كَثِيرٌ،
وَأَوْلَادٌ مَرْضِيَّةٌ، فَأَبْتُلِيَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَذَهَبَ عَنْ
آخِرِهِ، ثُمَّ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمٌ
سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ يَذْكُرُ بِهِمَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى
عَافَهُ الْجَلِيسُ، وَأَفْرِدَ فِي نَاحِيَةِ مَنْ الْبَلَدِ، وَلَمْ
يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَخْنُو عَلَيْهِ، سِوَى زَوْجَتِهِ الَّتِي
كَانَتْ تَقُومُ بِأَمْرِهِ، وَاحْتَأَجَّتْ أَيْضًا فَصَارَتْ تَخْدِمُ
النَّاسَ مِنْ أَجْلِهِ (١).

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره.

٢- صَبْرُ أَيُّوبَ

وَكَانَ رَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ صَابِرًا شَاكِرًا يُلْهِجُ لِسَانَهُ
بِالذِّكْرِ وَالشُّكْرِ ، لَا يَشْكُو ، وَلَا يَتَعَتَّبُ ، وَلَا يَتَذَمَّرُ ،
وَلَا يَفْضُبُ ، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ سِنِينَ حِوَالًا مُلْقَى عَلَى
كُنَاسَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَخْتَلِفُ الدَّوَابُّ فِي جَسَدِهِ

٣- مِحْنَةٌ وَمِنْجَةٌ

وَلَمَّا تَمَّ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ ابْتِلَاءٍ ، وَمَا أَرَادَ بِهِ
مِنْ تَكْمِيلٍ ، وَرَفَعَ دَرَجَاتٍ ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، أَلْهِمَهُ
الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَ ، الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ عَجْزُهُ وَبُؤْسُهُ ،
وَأَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ ، وَعَافَاهُ اللَّهُ فِي بَدَنِهِ وَأَهْلِيهِ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ ،
وَبَارَكَ لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ، يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ »

وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ
 مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا
 وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ۝

٤- قِصَّةُ يُونُسَ وَحِكْمَتُهَا

وَتَأْتِي قِصَّةُ يُونُسَ مَقْرُونَةً بِقِصَّةِ أَيُّوبَ ،
 مُؤَيَّدَةً لَهَا فِي إِثْبَاتِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ
 وَإِغَاثَتِهِ لَهُمْ ، حِينَ يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ ، وَيَغْشَى الْيَأْسُ
 الْقَاتِلُ وَالظَّلَامُ الْحَالِكُ ، وَتَنْسَدُ جَمِيعُ الْمُنَافِذِ ، فَلَا
 نُورَ وَلَا هَوَاءَ ، وَلَا أَمَلَ وَلَا رَجَاءَ ، تَدُورُ رَحَى الْمَوْتِ
 قُوَّةً سَرِيعَةً تَطْحَنُ حَبَّةَ الْحَيَاةِ نَاعِمَةً دَقِيقَةً .
 هُنَاكَ تَبْرُزُ يَدُ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، الْقُوَّةِ
 الْقَاهِرَةِ ، الرَّحِيمَةِ الْحَكِيمَةِ ، فَتُخْرِجُ هَذَا الْإِنْسَانَ
 الضَّعِيفَ مِنْ أَشْدَاقِ الْأَسَدِ الضَّارِي وَالْمَوْتِ
 الْفَاتِكِ ، فَيُخْرِجُ سَلِيمًا غَيْرَ مُخْدُوشٍ ، كَامِلًا غَيْرَ
 مُنْقُوصٍ ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي بَيْتِهِ مَحْفُوظًا بَيْنَ أَهْلِهِ .

٥- يُونسُ بَيْنَ قَوْمِهِ

وَهَذِهِ قِصَّةُ يُونسَ : بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ
 قَرْيَةٍ «نَيْنُوا» فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ ،
 وَتَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ مُغَاضِبًا
 لَهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ بِالْعَذَابِ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا
 مِنْهُ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ ، خَرَجُوا إِلَى
 الصَّخَرَاءِ بِأَطْفَالِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ
 بَيْنِ الْأُمَمَاتِ وَأَوْلَادِهَا ، ثُمَّ تَخَضَّعُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
 وَجَارُوا إِلَيْهِ ، وَرَغَتِ الْإِبِلُ وَفُضِّلَانُهَا ، وَخَارَتِ الْبَقَرُ
 وَأَوْلَادُهَا ، وَثَنَتِ الْغَنَمُ وَسِخَالُهَا ، فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 الْعَذَابَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمِنْتُ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا

إِلَّا قَوْمَ يُونسَ ۚ لَمَّا أَمِنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ۝ »



٦- يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ

وَأَمَّا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ ذَهَبَ فَرَكِبَ
 مَعَ قَوْمٍ فِي سَفِينَةٍ ، فَجَنَحَتْ بِهِمْ ، وَخَافُوا أَنْ يَفْرَقُوا
 فَأَقْتَرَعُوا عَلَى رَجُلٍ يُلْقُوهُ مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَخَفُّونَ مِنْهُ
 فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ فَأَبَوْا أَنْ يُلْقُوهُ ، ثُمَّ أَعَادُوهَا
 فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا ، فَأَبَوْا ، ثُمَّ أَعَادُوهَا ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ
 أَيْضًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ،
 أَيِ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ ، فَقَامَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَدْ
 أَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُوتًا يَشُقُّ الْبَحَارَ حَتَّى جَاءَ ،
 فَالْتَقَمَ يُونُسَ حِينَ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ السَّفِينَةِ ، فَأَوْحَى
 اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْحُوتِ أَنْ لَا تَأْكُلَ لَهُ لَحْمًا ، وَلَا تَهْشِمَ
 لَهُ عَظْمًا ^(١) .

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره .

٧- وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ

فَكَانَ فِي ظُلُمَةٍ بَطْنِ الْخُوتِ ، فِي ظُلُمَةِ الْبَحْرِ ،
 فِي ظُلُمَةِ اللَّيْلِ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، فَمَا أَشَدَّ
 الظُّلَامَ ! وَمَا أَبْعَدَ السَّلَامَ ! وَمَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ
 يَنُكِّتَ ، ثُمَّ أَلْهِمَهُ اللَّهُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ ،
 وَتَكْشِفُ الْكُرْبَاتِ ، وَتَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ
 سَمَاوَاتٍ ، وَاسْمَعَ الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْفَرِيدَةَ
 الْفَرِيدَةَ ، الَّتِي فِيهَا سَلَوَى لِكُلِّ بَائِسٍ مَلْهُوفٍ ، وَيَائِسٍ
 مُضْطَرِبٍ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَ-
 ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَرَأَى عَيْنَانَا أَنْ لَا مَلْجَأَ
 مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ :

« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ
 نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ -
 سُبْحَانَكَ عَنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ه فَاسْتَجَبْنَا لَهُ -
 وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ه وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ه » .

قصة سيدنا زكريا عليه السلام

١- دُعَا زَكْرِيَّا لَوْلَدٍ صَالِحٍ

وَلَوْ أَنَّ آخِرَ مَنْ آلَاءِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَآيَاتِ
قُدْرَتِهِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، تَجَلَّى فِي دُعَا زَكْرِيَّا
لَوْلَدٍ صَالِحٍ رَضِيٍّ ، بَرٍّ تَقِيٍّ ، يَرِثُهُ وَيَرِثُ مِنْ آلِ
يَعْقُوبَ ، وَيَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَذَلِكَ حِينَ
تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ ، وَهَمَّ مِنْهُ الْعَظُمُ ، وَلَجَّ بِهِ
الشَّيْبُ ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ مِنْ أَنْ تَلِدَ زَوْجُهُ ، فَأَجَابَ
اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ ، وَكَذَّبَ ظُنُونُ النَّاسِ ، وَأَبْطَلَ
التَّجَارِبُ الْقَدِيمَةَ ، فَرَزَقَهُ وَلَدًا رَاشِدًا ، بَكَرًا بِهِ
النُّبُوغُ وَالْحِكْمَةُ ، وَالْجِلْمُ وَالْعِلْمُ ، وَالْكِتَابُ فِي
الصِّغَرِ ، وَخُصِّنَ بِالْحَنَانِ وَالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْبِرِّ
بِالْوَالِدَيْنِ ، وَالرَّقَّةِ وَلَيْنِ الْكَتِفِ وَخَفَضِ الْجَنَاحِ
وَرَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ زَكْرِيَّا ، وَأَرَاهُ آيَاتِ تَدْلُ

عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَأَرَاهُ تُصَهِّرُهُ
فِي خَلْقِهِ وَفِي أَعْضَاءِ جَسَدِهِ يُحَرِّكُ مَا يَشَاءُ وَيُعْطِلُ مَا يَشَاءُ ،
وَتَحَقَّقْ لَهُ أَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ بِيَدِهِ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ،
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيَزْرُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

٢- نَذْرُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ

وَقَدْ نَذَرَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ - مِنْ أُنْسَرَةٍ سَيِّدَتِنَا
زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً صَالِحَةً تُحِبُّ اللَّهَ ، وَ
تُحِبُّ دِينَهُ - أَنَّهَا إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا تَهَبُ هَذَا الْوَلَدَ
لِلَّهِ : لِخِدْمَةِ دِينِهِ وَسَأَلَتِ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ هَذَا الْوَلَدَ
وَيَنْفَعَ بِهِ دِينَهُ وَعِبَادَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَإِمَامًا
مِّنْ أَيْمَنَةِ الْهُدَى :

٣- قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ

وَأَرَادَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَصْلِحَةِ عِبَادِهِ ، فَإِذَا هِيَ تَلِدُ أُنْثَىٰ ، فَتَحْزَنُ

لِذَلِكَ وَتَفَشَاهُ الْكَاتِبَةُ ، وَلَكِنَّ الْوَلِيدَةَ لَمْ تَكُنْ كَكُلِّ
 أَنْثَى ، بَلْ كَانَتْ أَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَأَعْلَى هِمَّةً فِي
 الطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ ، مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفَتَيَانِ ، وَإِذَا قَدَّرَ
 اللَّهُ - لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا - أَنْ تَكُونَ أَنْثَى ، وَالنُّبُوَّةُ لَا يَخْطُلِعُ
 بِأَغْبَائِهَا إِلَّا الرِّجَالُ ، فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ أُمًّا لِنَبِيِّ
 صَالِحٍ يَكُونُ لَهُ شَأْنٌ :

« إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرَنَ : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
 مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝
 فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْثَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا وَضَعْتَ ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ، وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ
 وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَمِّيَهَا الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ ۝ » ،

٤ - عَنَايَةُ اللَّهِ بِالْفَتَاةِ الصَّالِحَةِ

وَكَانَتْ فِي كِفَالَةِ سَيِّدِنَا زَكْرِيَّا لِمَكَانَتِهَا مِنْهُ ،
 وَفِي رِعَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَكَانَ اللَّهُ يُكْرِمُهَا بِالْأَشْمَارِ
 وَالْفَوَاكِهِ فِي غَيْرِ أَوَانِهَا وَفِي غَيْرِ مَكَانِهَا ، تَأْكُلُ مِنْهَا

مَا تَشَاءُ وَتَهَبُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ .

« فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنٍ وَأَنْتُبَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ
عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ : يَمْزِيغُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَ : هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّاهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

٥ - إِلَهَامًا مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ

وَالْهَمَّ اللَّهُ زَكْرِيَّا - وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِنْ
الْعُقَلَاءِ الْأَذْكِيَاءِ - أَنْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُكْرِمَ فَتَاةً
صَالِحَةً أَخْلَصَتْ أُمُّهَا فِي النَّذْرِ بِهَا وَالِدُهَا لَهَا ، وَ
أَخْلَصَتْ هِيَ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ، بِفَوَاقِهِ سَابِقَةٍ لَزَمَانِهَا
أَوْ مُتَأَخِّرَةٍ عَنْ أَوَانِهَا ، يَقْدِرُ أَنْ يَهَبَ شَيْخًا قَدْ طَعَنَ
فِي السِّنِّ وَغَلَاةُ الشَّيْبِ وَأَثَرُ فِيهِ الْوَهْنُ ، وَلَدًا قَدْ
انْقَطَعَ مِنْهُ الرَّجَاءُ لِعُلُوِّ السِّنِّ وَعَقْرِ الزَّوْجِ ، وَجَرَتْ
الْعَادَةُ أَنْ لَا يُوَلَّدَ لِرَجُلٍ فِي هَذِهِ الْحَالِ .

فَجَاشَتْ نَفْسُهُ ، وَعَلَتْ هِمَّتُهُ ، وَانْتَعَشَ

الْأَمَلُ ، وَقَوِيَّتِ الثَّقَةُ بِالرَّبِّ ، فَفَاضَ لِسَانُهُ بِدُعَاءِ أَمْنَتْ
عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَحَرَّكَتْ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَكَانَ كُلُّهُ
إِلْهَامًا مِّنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ ، وَتَقْدِيرًا مِّنَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ :
« هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي
مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ » .

٦- بَشَارَةُ وَلَدٍ

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْبَشَارَةُ
بَوْلَدٍ صَالِحٍ قَرِيبَ زَمَانٍ وَلَادَتِهِ .
وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ، فَطَلَبَ أَمَارَةً
عَلَى إِمْكَانِ هَذَا الْحَدَثِ الْكَبِيرِ وَقُرْبِ ظُهُورِهِ ، فَقَالَ :
« رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۚ قَالَ : آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝ » .

فَالْقَادِرُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْلُبَ خَوَاصَّ
الْأَشْيَاءِ ، فَيَجْعَلَ اللِّسَانَ النَّاطِقَ أَبْنَكُمْ لَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَتَحَرَّكَ بِكَلِمَةٍ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُودِعَ مَا شَاءَ مِنْ
مَخْلُوقَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ خَوَاصِّ ، وَالْقَوِيُّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَمْنَعَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْطِيَ

٧- آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ

وَأُظْهِرَتْ آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ فِي جِسْمِهِ ثُمَّ فِي
بَيْتِهِ وَأُسْرَتِهِ ، وَوُلْدَيْهِ يَحْيَى فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ ، وَاشْتَدَّ
بِهِ أَزْرُهُ ، وَعَاشَتْ بِهِ دَعْوَتُهُ . وَاسْمَعُوا الْقُرْآنَ يَخْكِي
هَذِهِ الْقِصَّةَ تَارَةً فِي إِيْمَارٍ وَطَوْرًا فِي تَفْصِيلٍ ، فَيَقُولُ :
« وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ
أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ زَوْجَنَا لَهُ يَحْيَى وَ
أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ
يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ » .

٨- يَحْيَى يَضْطَلَعُ

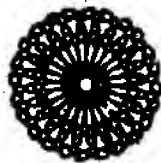
بِأَعْيَانِ الدَّعْوَةِ

وَيُولَدُ يَحْيَى فَيَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِأَبَوَيْهِ ، وَخَلِيفَةً

لِوَالِدِهِ الْعَظِيمِ ، فَيَضْطَلَعُ بِأَعْيَاءِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى
 الدِّينِ الْخَالِصِ ، وَتُظْهِرُ فِيهِ آثَارَ النِّجَابَةِ مُنْذُ
 الصَّبْرِ ، فَيُقْبِلُ عَلَى الْعِلْمِ بِشَفَفٍ وَهُوَ غَلَامٌ ، وَيَتَحَلَّى
 بِالصَّبَاحِ وَالتَّقْوَى وَهُوَ شَابٌ ، وَيَمْتَازُ عَنْ أَقْرَانِهِ
 فِي الْحُبِّ وَالْحَنَانِ وَالْبِرِّ بِالْأَبْوَنِ ، يُشَارُ فِي ذَلِكَ
 إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُ :

« يَخَيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَاتَّبِعْهُ الْحُكْمَ »

صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ، وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا
 بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ، وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ
 وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا .



قِصَّةُ سَيِّدِنَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- قِصَّةُ خَارِقَةِ الْعَادَةِ

وَيَجِبُ دَوْرُ سَيِّدِنَا عِيسَى ، وَهُوَ آخِرُ الرُّسُلِ
 قَبْلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ قِصَّةٌ
 تَجَلَّتْ فِيهَا إِرَادَةُ اللَّهِ الْقَامِرَةُ ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ الْمُطْلَقَةُ ،
 وَحِكْمَةُ اللَّهِ الدَّقِيقَةُ ، فَأَمْرُهُ كُلُّهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، وَوِلَادَتُهُ
 خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، حَارَتْ فِيهَا الْأَلْبَابُ ، وَنُسِخَتْ فِيهَا
 الْقَوَانِينُ الطَّبِيعِيَّةُ ، وَشَقَّ الْإِيمَانُ بِهَا وَالتَّصَدِيقُ لَهَا
 عَلَى مَنْ آمَنَ بِالْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ ،
 وَآمَنَ بِالتَّجَرِبَةِ وَالمُشَامَدَةِ وَبِأَحْكَامِ الطَّبِّ وَالطَّبِيعَةِ
 كَنَامُوسٍ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَجَهِلَ قُدْرَةَ اللَّهِ الَّتِي
 أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَغَلَبَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِرَادَتَهُ
 الَّتِي لَا يَحُولُ دُونَهَا شَيْءٌ ، « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
 أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ » .

وَهَـٰذَا الْإِيمَانُ عَلَىٰ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ كَآلِهِ
 قَادِرٍ مُّرِيدٍ ، خَالِقِ صَبَاحٍ ، « هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُ
 الْبُصُورُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ » يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ
 وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ .

وَأَمَّنْ يَخْلُقِ آدَمَ مِنْ مَّاءٍ وَطِينٍ ، وَمِنْ غَيْرِ أُمَّةٍ
 وَأَبٍ ، وَوِلَادَةٍ مِّنْ أُمَّةٍ مِّنْ غَيْرِ أَبِي أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ لِلتَّحْقِيقِ
 مِنْ وِلَادَةٍ مِّنْ غَيْرِ أُمَّةٍ وَأَبٍ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ :
 « إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ
 تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ۝ . »

٢- أَمْرُ كُلِّهِ عَجَبٌ

وَأَمْرُ سَيِّدِنَا عِيسَىٰ كُلُّهُ عَجَبٌ ، وَقَدْ كَانَتْ
 وَلَادَتُهُ فِي عَصْرِ بَلَغَتْ فِيهِ «يُونَانُ» أَوْجَهَا فِي الْعُلُومِ
 الْعَقْلِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ ، وَكَانَتْ لِلطَّبِّ دَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ .

٣- خُضُوعُ الْيَهُودِ

لِلْأَسْبَابِ الظَّالِمَةِ

وَخَضَعَ الْيَهُودُ - وَهُمْ أُمَّةٌ كَثُرَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ -

لِلْعُلُومِ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِهِمْ ، وَاشْتَهَر فِيهِمْ انْكَارُ الرُّوحِ
وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، وَاعْتَادُوا أَنْ يُفَسِّرُوا كُلَّ مَا يَرَوْنَهُ
تَفْسِيرًا مَادِّيًّا ، فَلَا وُجُودَ لَشَيْءٍ عِنْدَهُمْ وَلَا إِمْكَانَ
لِحَادِثٍ إِلَّا بِالسَّبَبِ وَالْعِلَّةِ ؛ فَكَانَتِ الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي
أَكْرَمَ اللَّهُ بِهَا سَيِّدَنَا عِيسَى عِلَاجًا لِلْعَقْلِ الْمَادِّيِّ
الضَّيِّقِ ، وَحَاجَةً الْعَصْرِ وَبِدَاءَ الزَّمَانِ .

وَأَمَّنَ الْيَهُودُ فِي الْوُقُوفِ عِنْدَ الظَّاهِرِ وَالتَّمَسُّكِ
بِالْقُشُورِ دُونَ اللَّبَابِ ، وَالتَّشَبُّثِ بِالْمَظَاهِرِ دُونَ
الْحَقِيقَةِ ، وَغَلَوُا فِي تَقْدِيسِ الْعَصْرِ وَالدَّمِ ، وَفِي
حُبِّ الْمَالِ وَالْمَادَّةِ ، وَانْهَمَكُوا فِي الْحَيَاةِ إِنِّهَمَاكَ زَائِدًا
وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَجَعَتْ طَبَائِعُهُمْ ، فَلَا يَرِقُونَ لِلضَّعِيفِ
وَلَا يَعْطِفُونَ عَلَى الْفَقِيرِ ، وَيُعَامِلُونَ مَنْ لَا يَجْرِي فِي
عُرُوقِهِ الدَّمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ مُعَامَلَةَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْكِلابِ
أَوِ الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيهَا ، وَيَخَضَعُونَ لِلْأَقْوِيَاءِ الْأَغْنِيَاءِ
وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَى الصِّغَارِ الْفُقَرَاءِ ، وَيَفْسُونِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ ،
وَيَلِينُونَ عِنْدَ الْعَجْزِ ، قَدْ وَلَدَتْ فِيهِمْ حَيَاةُ الذُّلِّ

وَالْعُبُودِيَّةَ الَّتِي عَاشُوهَا فِي الْحُكْمِ الرُّومَانِي الَّذِي دَامَ
مُدَّةً طَوِيلَةً فِي سُورِيَا وَفَلَسْطِينِ ، النِّفَاقَ وَالْخُنُوعَ ،
وَالْتَّحِيلَ وَالذَّمَاءَ ، وَاللُّجُوءَ إِلَى الْمُؤَامَرَةِ وَالسَّرِيَّةِ .

٤- اسْتِخْفَافٌ وَتَمَرُّدٌ

وَوَلَدَ فِيهِمُ الْإِسْتِخْفَافُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْإِجْتِرَاءُ
عَلَيْهِمْ ، حَتَّى بِالْقَتْلِ ، وَالتَّعَامُلُ بِالرَّبِّا ، وَالْعَبَثُ بِالتَّعَالِيمِ
الدِّينِيَّةِ ، الْغِلْظَةُ وَالْجَفَافُ ، وَضَعْفُ الْعَاطِفَةِ
الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَتَجَرَّدَتْ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِّنْ حُبِّ اللَّهِ
الْخَالِصِ ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ - مَهْمَا كَانَ أَضْلُهُ
وَفَضْلُهُ - وَاحْتِرَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ .

وَكَادُوا يَنْسَوْنَ مَعَانِيَ الْمُوَاسَاةِ وَالْمُسَاوَاةِ ،
وَالْبِرِّ وَالْكَرَمِ ، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالنُّبُوءَاتِ وَالرِّسَالَاتِ ،
وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ ، وَزَخَرَتْ صُحُفُهُمْ بِأَخْبَارِهِمْ ،
وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَضْبَحُوا فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا
وَافَقَ هَوَاهُمُ ، وَأَيْدَهُمْ فِي سِيَرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ ، أَمَا

مَنِ اسْتَقْدَهُمْ وَحَاسَبَهُمْ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ
وَالْحَقِّ الصَّريحِ وَإِصْلَاحِ الْحَالِ ، عَادَوْهُ وَحَارَبُوهُ ، وَكَانَتْ
عِنْدَهُمْ جَرَاءَةٌ عَلَى الْبُهْتِ وَالْإِفْتِرَاءِ ، وَكُتْمَانِ الْحَقِّ ،
وَشَهَادَةِ الزُّورِ .

٥- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَكَانُوا أُمَّةً تَمْتَّازُ عَنِ الْأُمَمِ الْمُعَاصِرَةِ فِي كُلِّ
زَمَانٍ ، بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ ، وَذَلِكَ سِرٌّ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى
غَيْرِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
« يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ
عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » .

٦- نُكْرَانُ لِلْجَبِيلِ

وَلَكِنْ تَسَرَّيْتُ إِلَيْهِمْ بِحُكْمِ الْإِخْتِلَاطِ وَتَجَاوَرَةِ
الشُّعُوبِ الْوُثْنِيَّةِ الْمُشْرِكَةِ ، وَبَطُولِ الْعَهْدِ بِتَعَالِيمِ
الْأَنْبِيَاءِ ، عَقَائِدُ زَائِفَةٌ ، وَعَادَاتُ جَاهِلِيَّةٌ ، وَقَدْ عَبْدُوا

الْعَجَلِ فِي مِصْرَ، وَبِالْفُؤْافِي تَقْدِيسِ عَزِيرٍ وَتَعْظِيمِهِ،
 حَتَّى تَخْطُوا بِهِ حُدُودَ الْبَشَرِيَّةِ، وَبَلَغْتَ بِهِمُ الْوَقَاحَةَ
 إِلَى أَنْ تَسْبُوا بَعْضَ أَعْمَالِ الشَّرِكِ وَالْوَثْنِيَّةِ، وَأَعْمَالِ
 السَّحْرِ وَالْكُفْرِ، وَالْأَفْعَالِ الشَّيْئَةِ، إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ،
 وَلَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ .

٧- زَهُوُّ دَلَالٍ

وَكَانُوا رَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ شَدِيدِي الْإِذْلَالِ بِالنَّسَبِ،
 شَدِيدِي الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْأَمَانِي وَالْأَخْلَامِ، يَقُولُونَ:
 «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» . وَيَقُولُونَ: «لَنْ تَمَسَّنَا
 النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً» .

٨- وَلَادَةُ الْمَسِيحِ

تَتَحَدَّى الْمَخْسُوسَ الْمُتْرُوفَ

وَكَانَتْ وَلَادَةُ الْمَسِيحِ وَحْيَانُهُ، وَدَعْوَتُهُ
 وَمَعِيشَتُهُ، تَحَدِّيًا لِكُلِّ ذَلِكَ، تَحَدِّيًا لِلْمَخْسُوسِ
 الْمُقَرَّرِ، تَحَدِّيًا لِلْأَغْرَافِ الشَّائِعَةِ، وَالْعَادَاتِ الْمَتَّبَعَةِ،

وَالْقَوَانِينَ الْمَرْسُومَةِ ، وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا
 الْيَهُودُ ، وَالْعَادَاتِ الَّتِي يَتَنَافَسُونَ فِيهَا ، وَتَتَقَاتِلُونَ
 عَلَيْهَا ، فَوُلِدَ مِنْ طَرِيقَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ ، وَكَلَّمَ النَّاسَ
 فِي الْمَهْدِ ، وَنَشَأَ فِي أَحْضَانِ أُمِّ فَقِيرَةٍ مُتَبَتِّلَةٍ ، وَ
 عَاشَ فِي جَوْثِ مَلِيْنٍ بِالطَّنِّ وَالْقَدَحِ ، بَعِيدٍ عَنْ مَظَاهِرِ
 الْعِظَمَةِ وَالْفَنَى ، يُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ ، وَيُؤَاكِلُهُمْ ، وَيَخْنُو
 عَلَيْهِمْ ، وَيُؤَاوِي الضُّعَفَاءَ وَالْفَرَبَاءَ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ فَقِيرٍ
 وَغَنِيٍّ ، وَحَاكِمٍ وَمُخَكِّمٍ ، وَشَرِيفٍ وَوَضِيعٍ .

٩- مُعْجَزَاتُ الْمَسِيحِ

وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَسِيَّةِ ، وَأَتَاهُ الْإِنْجِيلُ ،
 وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، يَشْفِي
 اللَّهُ بِهِ الْمَرْضَى الَّذِينَ عَجَزَ عَنْ مَدَاوَاتِهِمُ الْأَطِبَّاءُ ،
 وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُخَيِّ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ،
 وَيَخْلُقُ لِلنَّاسِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ ،
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيُنَبِّئُ بِمَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ

وَيَذْخِرُونَهُ فِي بُيُوتِهِمْ .

فَيُفِيدُ بِكُلِّ ذَلِكَ الثِّقَةَ بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ
خَبَرِ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ ، وَأَخْبَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَيَجِدُّ
الْإِيمَانَ بِهَا ، وَيَكْذِبُ الْعِبَادَةَ لِلْحَسِّ وَالتَّجَرِبَةِ ، فَقَامَ
الَّذِينَ يُنْكِرُونَ سَعَةَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَقُوَّةَ الْإِرَادَةِ
الرَّبَّانِيَّةِ ، فَقَرَّرُوا أَنَّ لَا جَدِيدَ وَأَنَّ لَا مَزِيدَ فِيمَا عَلِمُوهُ
وَشَافِدُوهُ .

١- دَعْوَتُهُ إِلَى الدِّينِ وَتَكْذِيبُهُ الْيَهُودَ

وَكَذَّبَ الْيَهُودَ فِي كَثِيرٍ مِّمَّا تَخَيَّلُوا وَغَلَّوْا فِيهِ ،
وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ ، يَدْعُوهُمْ
إِلَى رُوحِ الدِّينِ وَلُبَائِهِ ، وَأَصْلِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَالْحُبِّ
لِلَّهِ حُبًّا يَغْلِبُ عَلَى كُلِّ حُبٍّ ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ
وَاحْتِرَامِهَا ، وَالْمُؤَاسَاةِ لِلْفُقَرَاءِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ
الْخَالِصِ ، وَرَفْضِ كُلِّ مَا دَخَلَ عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ
مِنْ عَادَاتِ جَاهِلِيَّةٍ ، وَعَقَائِدَ بَاطِلَةٍ .

١١- الْيَهُودُ يَنْصِبُونَ لَهُ الْحَرْبَ

وَشَقَّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ ،
وَرَمَوْهُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَرَشَقُوهُ بِالثُّهْمِ وَالْقَذَائِفِ ،
وَتَنَاوَلُوهُ بِالسَّبِّ الْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ الْبَذِيّ ، وَتَنَاوَلُوا أُمَّهُ
مَزِيْمَ الْبَتُولِ بِالْقَذْفِ وَالطَّنِّ ، وَعَاكَسُوهُ وَطَارَدُوهُ ،
وَأَمَاجُوا لَهُ الْأَوْبَاشَ ، وَسَدُّوا فِي وَجْهِهِ الطَّرْقَ .

١٢- قِصَّةُ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ

ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهُ وَالتَّخْلَصَ مِنْهُ ، فَحَمَاهُ اللَّهُ ،
وَرَدَّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهُ ، إِقْرَأُوا
قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ :

« إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ
بِكَلِمَةٍ مِنْهُ » اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ هُ وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي
الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ه قَالَتْ : رَبِّ أَنَّى يَكُونُ

لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا
 يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي
 إِسْرَآئِيلَ ۝ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۝ أَنِّي أَخْلَقُ
 لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ
 اللَّهِ وَأُنَبِّئُ الْآكِمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ
 مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
 وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ إِنَّ
 اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۝ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَلَمَّا
 أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
 قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۝ آمَنَّا بِاللَّهِ ۝ وَاشْهَدْ
 بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝
 إِذْ قَالَ اللَّهُ : يُعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ

وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخْكُمُ
 بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ هَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَلَعَذَابُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
 مِنْ نَاصِرِينَ هَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
 أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ هَ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ
 مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ هَ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ
 كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْتَرِينَ هَ

١٣- سِيرَتُهُ وَدَعْوَتُهُ

فِي الْقُرْآنِ

وَأَقْرَأُوا وَضَفَّهُ تَعَالَى لِسِيرَتِهِ وَدَعْوَتِهِ فِي قَوْلِهِ:
 قَالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَكُتِبَ عَلَيَّ
 النَّبِيُّ هَ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ سَ وَأَوْصَانِي بِالْعَمَلَةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا هَ وَبَرًّا بِوَلَدَتِي هَ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا هَ شَقِيَّةَ
 وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ هَ وَ يَوْمَ أَمُوتُ هَ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا هَ

١٤- صِرَاعٌ قَدِيمٌ

وَوَقَعَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ ، فَابْتَعَدَ عَنْهُ الرُّؤَسَاءُ وَالزُّعَمَاءُ ، وَهَجَرَهُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ ، وَرَأَوْا فِي الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ غَضَاظَةً وَعَيْنِيًّا ، وَشَقَّ عَلَيْهِمُ التَّنَازُلُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، مِنْ رَّئَاسَةٍ وَرِعَامَةٍ ، وَامْتِيَازٍ وَسِيَادَةٍ ، وَصَدَقَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

« وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا : إِنَّا بِنَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفِرُونَ ۝ وَقَالُوا : نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ۝ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝ »

١٥- إِيْمَانُ عَامَّةِ النَّاسِ وَفَقْرُهُمْ

وَلَمَّا يَأْتِسْ عِيسَى مِنْهُمْ ، وَشَاهَدَ فِيهِمُ الْغِنَادَ وَالْكَفْرَ ، وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ جَحَدُوا بِمَا جَاءَ بِهِ ، مِنْ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ بَاهِرَاتٍ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ، وَاسْتَضَعَرُوهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حَوْلٍ وَمَطْوَلٍ ، أَقْبَلَ

عَلَىٰ عَامَّةِ النَّاسِ وَفُقَرَائِهِمْ ، وَقَدْ لَأَنْتَ قُلُوبُهُمْ ، وَصَفَتْ
نُفُوسُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ يَكْدُ يَمِينِهِمْ وَعَرَقِ جَبِينِهِمْ ،
لَا يَتَفَاخَرُونَ بِنَسَبٍ ، وَلَا يَتَطَاوَلُونَ بِجَاهٍ وَمَنْصِبٍ ، قَامَتْ
مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، فِيهَا الْقَعَبَارُونَ ، وَفِيهَا صَبَّادُو الْأَسْمَاعِ ،
وَفِيهَا أَمَلُ الْحَرْفِ وَالْيَمَنِ .

١٦- نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ

فَآمَنُوا بِالْمَسِيحِ ، وَالتَّقُوا حَوْلَهُ ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ
فِي يَدِهِ ، وَقَالُوا : «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :
«فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۖ آمَنَّا
بِاللَّهِ ۖ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا
الرَّسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ .

١٧- سِيَاخَتُهُ وَدَعْوَتُهُ

وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى يَقْضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ فِي

السَّيَاحَةِ ، وَالْإِتِّقَالِ مِنْ مَّكَانٍ إِلَى مَّكَانٍ ، يَدْعُو بَنِي
إِسْرَائِيلَ إِلَى اللَّهِ ، وَيَهْدِي خِرَافَهُمُ الضَّلَالَةَ إِلَى رَبِّهَا وَ
سَيِّدِهَا ، وَيَتَّفِقُ لَهُ فِي هَذِهِ الْجَوْلَاتِ وَالرَّحَلَاتِ الْيُسْرُ
وَالْعُسْرُ ، وَالضَّبِيقُ وَالرَّخَاءُ ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ صَابِرًا ، وَيَقْبَلُ
هَذَا شَاكِرًا ، وَيَضْبِرُ عَلَى الْجُوعِ ، وَيَجْتَزِي بِمَا يَسُدُّ الرِّمَقَ .

١٨- الْحَوَارِيُّونَ

يَطْلُبُونَ مَائِدَةَ السَّمَاءِ

أَمَّا الْحَوَارِيُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْزِلَتِهِ مِنَ
الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ وَالتَّقَشُّفِ وَالزَّمَادَةِ ، وَأَصَابَهُمْ شَيْءٌ
مِّنْ ذَلِكَ ، فَطَلَبُوا مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ
أَنْ يُنْزِلَ لَهُمْ مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَشْبَعُونَ
بَعْدَ جُوعٍ ، وَيَنَعَمُونَ بَعْدَ عَنَاءٍ .

١٩- سُوءُ أَدَبٍ

وَلَمْ يَكُونُوا مُتَأَدِّبِينَ فِي سُؤَالِهِمْ ، فَقَالُوا :
«هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ»

وَلَمْ يُنْجِبْ عِيسَى سُؤَالَهُمْ ، وَكَرِهَ الْأَسْلُوبَ الَّذِي خَاطَبُوا بِهِ . وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا يُطَالِبُونَ أُمَّتَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِالْقِسْبِ ، وَيُكَلِّفُونَهَا إِتَاءَهُ ، وَلَيْسَتْ الْمُنْجِزَاتُ خَارِيقَ يُسَلَّى بِهَا الْأَطْفَالُ ، وَيُلَهَّى بِهَا الْأَغْمَارُ ، وَإِنَّمَا هِيَ آيَاتٌ مِّنَ اللَّهِ يُظْهِرُهَا عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ حِينَ يَشَاءُ ، وَتَقُومُ بِهَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ، فَلَا يَنْهَلُونَ بَعْدَ ظُهُورِهَا وَإِنْكَارِهَا .

٢- تَحْذِيرُ قَوْمِهِ

مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ

لِذَلِكَ خَافَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِمُ ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ امْتِحَانِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ .

٢١- الْحَاحُ وَإِصْبَرُ

وَلَكِنَّ الْحَوَارِثِينَ تَشَبَّهُوا بِسُؤَالِهِمْ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ جَادُونَ فِي هَذَا السُّؤَالِ ، لَا يَقْصِدُونَ امْتِحَانًا ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَطْمِئِنَّنَا ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ ذِكْرًا لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ ،

وَقِصَّةُ نَحْكَى وَتُرْوَى عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ، فَتَكُونُ دَلِيلًا
عَلَى صِدْقِ هَذَا الدِّينِ، وَمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ،
وَالْحَوَارِيِّينَ الصَّادِقِينَ.

٢٢- الْقُرْآنُ يَحْكِي الْقِصَّةَ

وَدَعُوا الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ :

«إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ
يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ:
اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا
وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَقْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا
مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَايَةً مِنْكَ ۚ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ قَالَ اللَّهُ
إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ
عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝»



٢٣ - الْيَهُودُ يُحَاوِلُونَ التَّخْلَصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى

وَعِيلَ صَبْرُ الْيَهُودِ ، وَقَاضَتْ كَأْسُ عِدَائِهِمْ
وَعِنَادِهِمْ ، فَأَرَادُوا التَّخْلَصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى ، فَرَفَعُوا
قَضِيَّتَهُ إِلَى الْحَاكِمِ الرُّومِيِّ وَقَالُوا : إِنَّهُ رَجُلٌ ثَائِرٌ قَوْضِيٍّ
مَرَقَ مِنْ دِينِنَا ، وَاسْتَهْوَى شَبَابَنَا ، فَفْتِنَاوَاهُ ، وَفَرَّقَ
أَمْرَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَشَفَّلَ بَالَنَا .

٢٤ - أُسْلُوبُ النَّاقِمِينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ

وَهُوَ خَطَرٌ عَلَى الدَّوْلَةِ ، لَا يَخْضَعُ لِنِظَامٍ ، وَلَا
يَتَّقِي دُيُونًا ، وَلَا يُعْظَمُ عَظِيمًا ، وَلَا يُقَدَّسُ قَدِيمًا ،
وَهُوَ رَجُلٌ ثَوْرِيٌّ ، إِذَا لَمْ يَكْفِ شَرُّهُ فَإِنَّهُ يَتَفَاقَمُ ، وَلَا
تُسْتَضْفَرُ الشَّرَارَةُ مَهْمَا كَانَتْ تَافِهَةً .

٢٥ - مَكْرُودَهُاءُ

وَكَانَ كَلَامًا تَمْلُؤُوا بِالْمَكْرِ وَالِدَّهَاءِ ، مَضْبُوعًا

بِالصَّبْنَةِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْجَانِبَ الدِّينِيَّ لَا يُشِيرُ الْحُكَّامَ وَلَا يُهَيِّجُهُمْ ، فَقَدْ كَانَ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ أَنْ لَا يَتَدَخَّلُوا فِي أُمُورِ الْيَهُودِ الدِّينِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ خَلَعُوا الْحِلَامَ بِالسِّيَاسَةِ .

٢٦- مُشْكَلَةٌ

وَكَانَ مِنَ الصَّبْنِ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْحُكَّامُ الْأَجَانِبُ الْمُشْرِكُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَيَعْرِفُوا أَعْرَاضَ الْيَهُودِ ، وَسَبَبَ عَدَائِهِمْ لِلْمَسِيحِ ، وَكَانُوا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ ذَلِكَ بِالْأُمُورِ الْإِدَارِيَّةِ ، وَلَكِنْ أَشْتَدَّ الْحَاجُّ الْيَهُودِ ، وَطَالَ تَرَدُّدُهُمْ فَأَرَادُوا التَّخَلُّصَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي أَضْبَحَتْ حَدِيثَ الْبَلَدِ .

٢٧- سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ

فِي الْمَخَكَةِ

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ لَيْلَةَ السَّبْتِ وَكَانَ الْيَهُودُ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا يَوْمَ السَّنَةِ ، وَكَانَ يَوْمَ عُطْلَةٍ وَكَفَّ عَنِ الْعَمَلِ ، فَكَانُوا حَرِيصِينَ كُلَّ الْحِرْصِ

عَلَى أَنْ يَصْدَرَ الْحُكْمُ قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ،
وَيَسْتَرْجِعُوا مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ ، فَيَنَامُوا هَادِئِينَ الْبَالِ ، وَ
يُضَيِّعُوا نَاعِيي الْبَالِ ، لَا يُزْعِجُهُمْ شَيْءٌ .

وَقَدْ ضَاقَ الْحَاكِمُ بِالْقَضِيَّةِ ذَرْعًا ، وَلَيْسَتْ
لَهُ فِيهَا رَغْبَةٌ وَلَا لِأُمَّتِهِ فِيهَا مَضْلَحَةٌ ، وَقَدْ اخْتَشَدَ
الْيَهُودُ لِسَمَاعِ الْحُكْمِ ، وَهُمْ بَيْنَ صَائِحٍ وَهَاتِفٍ ،
وَمُتَنَدِّرٍ وَمُتَهَكِّمٍ ، وَالْحَاكِمُ مُتَضَيِّقٌ ، وَالْوَقْتُ
قَصِيرٌ ، وَالشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ ، فَأَصْدَرَ الْحُكْمَ
عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ صَلْبًا .

٢٨- الْقَانُونُ الْجِنَائِي

فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَكَانَ الْقَانُونُ الْجِنَائِي فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ يُوجِبُ
أَنْ يُخَيَّلَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالشَّنَقِ ، صَلِيبُهُ الَّذِي
يُصَلَّبُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الْمَشْنَقُ بَعِيدًا كَمَا هِيَ الْعَادَةُ
فِي الْبِلَادِ الْمُتَمَدِّنَةِ ، وَكَانَ الْجَنَعُ حَاشِدًا يَتَسَاقَطُ
بِقُضْهِهِ عَلَى بَعْضٍ ، وَكَانَ رِجَالُ الشُّرْطَةِ - وَأَكْثَرُهُمْ مِنْ

الْأَجَانِبِ - مَأْمُورِينَ مُوظَّفِينَ لَا رَغْبَةَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ
وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَشْبَاهًا عِنْدَهُمْ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ،
فَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمْ ، شَأْنُ الْأَجَانِبِ فِي نَظَرِ الْأَجَانِبِ ، وَ
كَانَ الْوَقْتُ مَسَاءً قَدْ مَدَّ الظَّلَامُ رُواقَهُ ، وَكَانَ بَعْضُ
الْيَهُودِ وَالْمُتَحَمِّسِينَ السُّفَهَاءِ مِنَ الشَّبَابِ يَنْهَالُونَ
عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، وَيَتَدَافَعُونَ عَلَيْهِ ، يَسُبُّونَهُ ،
وَيُعَيِّرُونَهُ ، وَيُرِيدُونَ إِيْذَاءَهُ وَإِهَانَتَهُ .

٢٩- عِيسَى يَتَحَمَّلُ الْأَذَى

وَكَانَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لَاجِبًا ، قَدْ أَضْنَاءَ الْجَهْدِ ،
وَطَوَّلَ الْوُقُوفِ فِي الْمَحْكَمَةِ ، وَتَحَمَّلَ الْأَذَى ، وَكَانَ الصَّبِيبُ
ثَقِيلًا ، وَقَدْ كَلَّفَ حِمْلَهُ ، فَكَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْرِعَ فِي
الْمَشْيِ .

٣- تَذِيرُ إِلَهِي

وَهُنَا أَمْرَ الشَّرْطِيِّ الْمُبَوَّكُ بِهِ ، شَابًا إِسْرَائِيلِيًّا

يَجْنِلِ الْعُودِ ، وَكَانَ أَشَدَّ زُمَلَايِهِ حَمَاسَةً ، وَأَكْبَرَهُمْ
 سَفَامَةً ، وَأَخْرَجَهُمْ عَلَى إِيْذَاءِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، وَ
 مُبَادَرَةٍ لَهُ ، حَتَّى يَنْتَهَى الْأَمْرُ سَرِيعًا ، وَيَتَخَلَّصَ مِنْ
 هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ الْمُرَوِّقَةِ .

٣- وَلَكِنْ شُبَّهَ لَهُمْ

وَمَكَدْنَا وَهَلَّ الْمَوَكِبُ إِلَى بَابِ الْمَشْنَقِ ،
 فَتَقَدَّمَ شُرْطَةُ الْمَشْنَقِ ، وَتَسَلَّمُوا الْأَمْرَ مِنَ الشُّرْطَةِ
 الْمَدَنِيِّينَ ، وَرَأَوْا الشَّابَّ يَحْمِلُ الصَّبْلَ ، وَاخْتَلَطَ
 الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ ، وَكَثُرَ الْخَبَجُ ، فَأَخَذَ بِيَدِ الشَّابِّ
 الْحَامِلِ لِلصَّبْلِ ، وَهُوَ لَا يَشْكُرُ فِي أَنَّهُ هُوَ الْمَحْكُومُ
 عَلَيْهِ بِالصَّبْلِ ، وَهُوَ يَصِيحُ وَيَضِجُ ، وَيَعْلِنُ بَرَاءَتَهُ
 وَأَنَّهُ لَا شَأْنَ لَهُ بِالْحُكْمِ وَالصَّبْلِ ، وَإِنَّمَا كُفِّ حَمْلُ
 الْعُودِ سُخْرَةً وَظُلْمًا ، وَشُرْطَةُ الْمَشْنَقِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى
 ذَلِكَ ، وَلَا يَفْهَمُونَ لُغَتَهُ ، لِأَنَّهُمْ مِنَ الرُّومِ وَالْيُونَانِ
 الْأُمَّةِ الْحَاكِمَةِ .

٣٢- تَنْفِذُ حُكْمٍ

وَكُلُّ مُجْرِمٍ يَتَخَبَّلُ مِنْ جَرِمَتِهِ، وَكُلُّ مُجْرِمٍ لَهُ
صَبَاحٌ وَعَوِيلٌ، وَأَخْذُوهُ وَنَفِّذُوا فِيهِ الْحُكْمَ، وَالْيَهُودُ
وَالْقِفُونَ عَلَى بُعْدٍ، وَالْدُّنْيَا لَيْلٌ وَظِلَامٌ، وَهُمْ يَظُنُّونَ
كُلَّ الظَّنِّ أَنَّ الْمَضْلُوبَ هُوَ الْمَسِيحُ^(١)!

٣٣- رَفْعُ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ

أَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَقَدْ نَجَّاهُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مُكْرَمًا مُطَهَّرًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا.

٣٤- الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِصَّةِ

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْيَهُودِ:

(١) استندنا في تفاهيل هذه القصة، والملابس والأجواء التي أحاطت
بها، إلى الوثائق المسيحية التاريخية والقانونية التي ظهرت ودونت في العبر الأخير

«وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۖ وَ
 قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ۚ
 وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ
 اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا
 اتَّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۚ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ
 وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝» .

وَهُوَ فِي السَّمَاءِ كَمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ ، وَهُوَ
 الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدْ كَانَتْ وَلَادَتُهُ عَجَبًا ، وَحَيَاتُهُ
 عَجَبًا ، وَأَمْرُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ عَجَبٌ ، خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ،
 مُثَبِّتٌ لِلْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُبْتَلاَةِ .

٣٥- نُزُولُ عِيسَىٰ عِنْدَ الْقِيَامَةِ

وَسَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حِينَ يُرِيدُهُ اللَّهُ ، وَيُقِيمُ
 الْحُجَّةَ عَلَىٰ مَنْ فَرَّطُوا فِيهِ وَأَفْرَطُوا ، مِنَ الْيَهُودِ وَ
 النَّصَارَىٰ ، وَيَنْصُرُ الْحَقَّ ، وَيَكْبِتُ أَهْلَ الْبَاطِلِ ، كَمَا
 أَخْبَرَ بِهِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ

وَالْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ ، وَاعْتَقَدَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ عَصْرِ ،
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ :

«وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
مَوْتِهِ ، وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» .

٣٦- بِشَارَتُهُ بِبَيْعَتِهِ سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ ﷺ

وَلَمْ يُكْمِلْ سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ مُهِمَّتَهُ فِي الدَّعْوَةِ
لَشِدَّةِ مُحَارَبَةِ الْيَهُودِ وَكَيْدِهِمْ لَهُ ، وَضَعْفِهِ وَقَلَّةِ أَنْصَارِهِ ،
فَوَدَّعَ النَّاسَ ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَبَشَّرَ النَّاسَ بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ ، يُكْمِلُ مَا بَدَأَهُ ، وَيُعِثُّكُمْ مَا خَصَّصَهُ ،
وَبِهِ تَتِمُّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَتَقُومُ حُجَّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ :
«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ،
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» .

٣٧- مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ إِلَى عَقِيْقَةِ غَايَةِ

وَمِنْ غَرَائِبِ تَارِيخِ الْأَذْيَانِ ، وَمِمَّا تَذَمُّعُ لَهُ

الْعُيُونُ، وَتَذُوبُ لَهُ الْقُلُوبُ، أَنَّهُ تَحَوَّلَتْ دَعْوَةُ الْمَسِيحِ إِلَى
 التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالذِّينِ السَّهْلِ السَّائِغِ الْبَعِيدِ عَنْ كُلِّ غُمُوضٍ
 وَتَعْقِيدٍ، وَتَخْرِيفٍ وَتَأْوِيلٍ بَعِيدٍ، الدَّعْوَةُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
 وَحْدَهُ، وَالسُّؤَالِ مِنْهُ، وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَحُبِّهِ الْخَالِصِ،
 إِلَى عَقِيدَةٍ غَامِضَةٍ، وَفَلَسَفَةٍ مُعَقَّدَةٍ، فَغَلَا فِيهِ أَتْبَاعُهُ
 وَأَطْرَفُهُ إِطْرَاءً خَرَجَ بِهِ مِنْ حُدُودِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى حُدُودِ
 الْأُلُوهِيَّةِ؛ فَقَالُوا: «الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ». وَقَالُوا: «اتَّخَذَ
 اللَّهُ وَلَدًا». وَقَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ». وَجَعَلُوا مِنْ
 الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ،
 أُسْرَةً مُؤَلَّفَةً مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ، كُلُّهُمْ إِلَهٌ؛ فَقَالُوا:
 الرَّبُّ وَالْإِبْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ، وَاعْتَقَدُوا فِي مَرْيَمَ أُمَّ
 الْمَسِيحِ، وَغَامَلُوهَا بِمَا يَبْلُغُ بِهَا إِلَى دَرَجَةِ التَّقْدِيسِ
 وَالْعِبَادَةِ؛ فَقَالُوا: «أُمُّ اللَّهِ». وَشَاعَتْ لَهَا تَمَائِيلُ وَصُورُ
 فِي الْكَنَائِسِ، يَخْضَعُ لَهَا النَّصَارَى بِاللُّجُوءِ وَالِدُّعَاءِ،
 وَالنَّذْرِ وَالْإِنْجِنَاءِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَرَمَاتِ
 اعْتَقَدُوهُ، مُسْتَبْشِعًا مَا فَعَلُوهُ:

« مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ۖ قَدْ خَلَتْ
 مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَنِ الطَّعَامَ ۚ
 انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۚ قُلْ
 أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَلِكُمْ لَكُمْ خَبَرًا وَلَا نَفْعًا
 وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ » .

٣٨- عِيسَى يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ

وَقَدْ دَعَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
 وَحْدَهُ ۚ فَجَاءَ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِنْجِيلِ : « مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ
 إِلَهِكَ تَسْجُدُ ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ، (مَتَّى ١٠: ٤) وَقَوْلُهُ :
 « مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ، (لوقا ١١: ٤)
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
 وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا
 كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۚ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ

وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَّامُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٥٠»

٣٩- الْقُرْآنُ يَصْرِّحُ بِدَعْوَةِ عِيسَى

وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْآنُ - وَهُوَ الْكِتَابُ الْمَصْدَقُ
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُهِمِّنُ عَلَيْهِ - مِنْ إِعْلَانِ سَيِّدِنَا
عِيسَى بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ ، فِي أُسْلُوبٍ
مُصَرِّحٍ وَاضِحٍ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ؛

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ : يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ
اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ٥٠ .

٤٠- مَنَزِلَةُ التَّوْحِيدِ فِي دَعْوَتِهِ

وَقَالَ فِي أُسْلُوبٍ جَمِيلٍ يَلِغُ يَتَذَوِّقُهُ كُلُّ
مَنْ عَرَفَ مَنَزِلَةَ التَّوْحِيدِ وَسَيَرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِينَ ،

وَمَا طِيعُوا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْخُضُوعِ لَهُ ،
وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ :

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ
وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهِ جَمِيعَاهُ فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ
مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا
فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

٤١ - مَشْهَدٌ رَائِعٌ

مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ

وَقَدْ حَوَّرَ الْقُرْآنُ فِي بِلَاغَتِهِ وَإِعْجَازِهِ ،
مَشْهَدًا مِّنْ مَّشَاهِدِ الْقِيَامَةِ الرَّائِعَةِ ، يَتَبَرَّأُ فِيهِ
سَيِّدُنَا عِيسَى عَمَّا تَقَوْلُهُ النَّاسُ فِيهِ ، وَعَامِلُوهُ بِهِ ،
وَيُوضَحُ دَعْوَتُهُ فِي قُوَّةٍ وَصِدْقٍ ، وَيُذَوِّبُ فِي هَذِهِ
الْقَضِيَّةِ الْفُلَاةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمَسْئُولُونَ

وَحَدَّثَهُمْ عَنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ ، اقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَاسْتَشْعِرُوا
جَلَالَ التَّوْقِفِ وَرَوْعَةَ الْمَشْهَدِ :

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ : يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ء قَالَ :
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ء إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ء تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ ء إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ؕ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أُمَرْتُنِي بِهِ : أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ؕ وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ ؕ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ء وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؕ إِنْ
تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ؕ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ؕ قَالَ اللَّهُ : هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ
صِدْقُهُمْ ء لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ء ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ؕ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ء وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؕ

٤٢ - مِنْ عَقِيدَةِ غَامِضَةٍ إِلَى وَثْنِيَّةٍ سَافِرَةٍ

وَأَنْتَقَلَ دُعَاةُ الْمَسِيحِيَّةِ إِلَى أَوْرُبَا بِدَافِعٍ مِّنْ
عِنْدِهِمْ^(١) وَقَدْ شَاعَتْ فِيهَا الْوِثْنِيَّةُ السَّافِرَةُ مِنْ زَمَانٍ،
وَعَاصَتْ فِيهَا إِلَى الْأَذْقَانِ ، فَكَانَ الْيُونَانُ وَثْنِيَّينَ ، وَقَدْ
تَصَوَّرُوا صِفَاتِ اللَّهِ فِي شَكْلِ آلِهَةٍ شَتَّى ، نَحَتُوا لَهَا تَمَاثِيلَ ،
وَبَنَوْا لَهَا مَعَابِدَ وَمِيَائِلَ ، فَلِلرِّزْقِ إِلَهٌ ، وَلِلرَّخْمَةِ إِلَهٌ ،
وَالْقَهْرِ إِلَهٌ ، وَكَانَتِ الرُّومِيَّةُ عَرِيقَةً فِي الْوِثْنِيَّةِ وَالْتِمَسُكِ
بِالْخُرَافَاتِ ، وَقَدْ امْتَزَجَتِ الْوِثْنِيَّةُ بِلُحْمِهَا وَدَمِهَا ،
وَجَرَتْ مِنْهَا مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ ، وَكَانَ الرُّومَانُ يَعْبُدُونَ
آلِهَةً شَتَّى ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ ، وَتَنَحَّصَرَ
قِسْطِنْطِينُ الْكَبِيرُ سَنَةَ ٣٠٦ م ، وَاخْتَضَنَ الدِّينَ الْجَدِيدَ
وَتَبَنَاهُ وَجَعَلَهُ دِينَ الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيَّ ، بَدَأَتِ النَّصْرَانِيَّةُ
تَأْخُذُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْوِثْنِيَّةِ وَالتَّقَالِيدِ
الرُّومِيَّةِ وَالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَتَدْنُو إِلَيْهَا رَوْنِدًا رَوْنِدًا ،

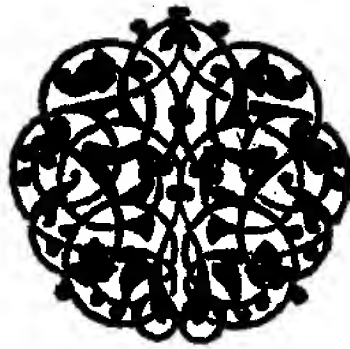
(١) لَأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ ، فَقَدْ مَرَّحَ بِأَنَّهُ أُرْسِلَ لِحُرَافِ إِسْرَائِيلَ الْهَبَالَةَ .

وَمَبَارَتْ تَفَقَّدُ أَصَالَتَهَا النَّبَوِيَّةَ ، وَبَسَاطَتَهَا الشَّرْقِيَّةَ ،
وَحِمَاسَتَهَا التَّوْحِيدِيَّةَ ، وَدَخَلَ فِيهَا بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ
فَطَعَنُوهَا بِعَقَائِدِهِمُ الْقَدِيمَةِ وَذَوَقَهُمُ الْوُثْنُ ، وَنَشَأَ
مِنْ ذَلِكَ دِينٌ جَدِيدٌ ، تَتَجَلَّى فِيهَا النَّصْرَانِيَّةُ وَالْوُثْنِيَّةُ
سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

وَكَذَلِكَ سَارَتْ النَّصْرَانِيَّةُ الزَّاحِفَةُ الْفَاتِحَةُ
عَلَى دَرْبٍ غَيْرِ الدَّرَبِ الَّذِي سَلَكَ الْمَسِيحُ بِهَا عَلَيْهِ ،
وَدَعَا إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ كَسَالِكِ طَرِيقٍ يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ
- عَنْ قَصْدٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ - فِي ظُلَامِ اللَّيْلِ - ،
فَيُؤَهِلُ سَيْرَهُ عَلَى طَرِيقٍ لَا يَلْتَفِتُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِ
إِلَى الْآخِرِ .

وَلِهَذِهِ الْحِكْمَةِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ
قَرَأَ تَارِيخَ هَذِهِ الدِّيَانَةِ ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالضَّلَالِ حِينَ
وَصَفَ الْيَهُودَ بِالْمَغْضُوبَةِ ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِ الْمُسْلِمِينَ:
«إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝»

وَكَاثِرٌ فِي ذَلِكَ مَأْسَاءٌ لِّأَوْرُبَا ، وَمَأْسَاءٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ
الَّتِي قَادَتْهَا أَوْرُبَا زَمَنًا طَوِيلًا ، وَلَا تَزَالُ مَسْطِرَّةً عَلَيْهَا
وَمُتَحَكِّمَةً فِيهَا . «وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» .



فهرس المؤلفات

رقم الصفحة

الموضوع

مقدمة

التنبية

قصة سيدنا عيسى عليه السلام

- | | | | |
|---|-------|-------|--------------------------------|
| ١ | | | (١) نظرة على القصص السابقة |
| ٢ | | | (٢) قصة هيراج بين الحق والباطل |
| ٣ | | | (٣) والى مدين أخاهم شعيبا |
| ٤ | | | (٤) دعوة شعيب عليه السلام |
| ٥ | | | (٥) أب رحيم ومعلم حكيم |
| ٦ | | | (٦) جواب قومه |
| ٧ | | | (٧) شعيب يشرح دعوته |
| ٨ | | | (٨) ما أنفقه كثيرا مما تقول |
| ٩ | | | (٩) شعيب يتعجب من قومه |

الموضوع	رقم الصفحة
(١٠) السهم الأخير	٨
(١١) حجة قاطعة	٨
(١٢) بل قالوا مثلما قال الأولون	٩
(١٣) بلغ الرسالة وأدى الأمانة	٨
قصة سيد داود وسيد سليمان عليهما السلام	
(١) القرآن يتحدث عن آلاء الله	١١
(٢) نعمة الله على داود	١٢
(٣) شكره على هذه النعمة	١٣
(٤) نعمة الله على سليمان	٨
(٥) فقه دقيق وعلم عميق	١٤
(٦) سليمان يعرف لغة الطير والحيوان	١٥
(٧) قصة همدان	١٦
(٨) سليمان يدعو ملكة سبأ إلى دينه	١٧
(٩) الملكة تستشير أركان دولتها	١٨
(١٠) هدية مساومة	١٩

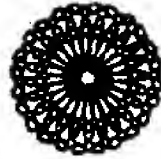
الموضوع	رقم الصفحة
(١١) الملكة تأتي خاضعة	١٩
(١٢) قصر عظيم من زجاج	٢٠
(١٣) وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين	٢١
(١٤) القرآن يحكى قصة سليمان	٢٢
(١٥) وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا	٢٥
قصة سيدنا أيوب وسيدنا يونس عليهما السلام	
(١) قصة أيوب نمط آخر من القصص	٢٦
(٢) صبر أيوب	٢٧
(٣) محنة ومنحة	٢٨
(٤) قصة يونس وحكمتها	٢٨
(٥) يونس بين قومه	٢٩
(٦) يونس في بطن الحوت	٣٠
(٧) واستجاب الله دعاه	٣١
قصة سيدنا زكريا عليه السلام	
(١) دعاء زكريا الولد صالح	٣٢

الموضوع	رقم الصفحة
(٢) نذرا امرأة عمران	٣٣
(٣) قالت رب إني وضعتها أنثى
(٤) عناية الله بالفتاة المبالغة	٣٤
(٥) إلهاماً من الرب الرحيم	٣٥
(٦) بشارة ولد	٣٦
(٧) آيات الله وقدرته	٣٧
(٨) يحيى يضطلع بأعباء الدعوة
قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام	
(١) قصة خارقة للعادة	٣٩
(٢) أمر كله عجب	٤٠
(٣) خضوع اليهود للأسباب الظاهرة
(٤) استخفاف وتمرد	٤٢
(٥) نعمة الله على بني إسرائيل	٤٣
(٦) نكران للجميل
(٧) زهو ودلال	٤٤

الموضوع	رقم الصفحة
(٨) ولادة المسيح تتحدى المحسوس المعروف	٤٤
(٩) معجزات للمسيح	٤٥
(١٠) دعوته إلى الدين وتكذيبه اليهود	٤٦
(١١) اليهود ينصبون له الحرب	٤٧
(١٢) قصة عيسى في القرآن
(١٣) سيرته ودعوته في القرآن	٤٩
(١٤) صراع قديم	٥٠
(١٥) إيمان عامة الناس وفقرائهم
(١٦) نحن أنصار الله	٥١
(١٧) سياحته ودعوته
(١٨) الحواريون يطلبون مائدة السماء	٥٢
(١٩) سوء أدب
(٢٠) تحذير قومه من سوء العاقبة	٥٣
(٢١) إلحاح وإصرار
(٢٢) القرآن يحكى القصة	٥٤

الموضوع	الصفحة
(٢٣) اليهود يحاولون التخلص من سيدنا عيسى	٥٥
(٢٤) أسلوب الناقمين والسياسيين	=
(٢٥) مكرودهاء	=
(٢٦) مشكلة	٥٦
(٢٧) سيدنا المسيح في المحكمة	=
(٢٨) القانون الجنائي في ذلك العصر	٥٧
(٢٩) عيسى يتحمل الأذى	٥٨
(٣٠) تدبير إلهي	=
(٣١) ولكن شبه لهم	٥٩
(٣٢) تنفيذ حكم	٦٠
(٣٣) رفع عيسى إلى السماء	=
(٣٤) القرآن يتحدث عن القصة	=
(٣٥) نزول عيسى عند القيامة	٦١
(٣٦) بشارته ببعثة سيدنا محمد ^{عليه} صلى الله عليه وسلم	٦٢
(٣٧) من التوحيد الخالص إلى عقيدة غامضة	=

الموضوع	رقم الصفحة
(٣٨) عيسى يدعو إلى عبادة الله وحده	٦٤
(٣٩) القرآن يصرح بدعوة عيسى	٦٥
(٤٠) منزلة التوحيد في دعوته
(٤١) مشهد رائع من مشاهد القيامة	٦٦
(٤٢) من عقيدة غامضة إلى وثنية سافرة	٦٨
فهرس المواضيع	٧١



پاکستان میں کچھ پبلشرز ہمارا ادارہ (مجلس نشریات اسلام کراچی) کی درسی کتب غیر قانونی طور پر شائع کر رہے ہیں، جو ایک قانونی اور اخلاقی طور پر جرم ہے، ہم یہ خط ثبوت کے طور پر شائع کر رہے ہیں کہ درسی کتب کی اجازت صرف مجلس نشریات اسلام کراچی کو ہے۔

Phone 22948



مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ

NADWA BOOK DEPOT

P. O. Box 93, LUCKNOW.

No. _____

Date 3/3/77
۱۲ ربیع الثانی ۱۳۹۸ھ

مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء محض ایک تجارتی ادارہ نہیں بلکہ ہندوستان کی تعلیم و درساہ دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ کا ایک اشاعتی مرکز ہے۔ یہاں کی تمام درسی کتب مقدس تصنیفات، القرآن المکرم اور مسلم الہدایہ و دیگر کتب کی اشاعت کی اجازت اشبک پاکستان کے کسی بھی تاجر کو نہیں دی گئی تھی، لیکن بعض اہم وجوہات کی بنا پر اسکی لمبا عرصے کے مکمل اختیارات جناب مولوی فضل ربی صاحب برہم پور پبلشرز مجلس نشریات اسلام ناظم آباد کراچی کو دیدئے گئے ہیں۔ انکے علاوہ کسی بھی تاجر کو مکتبہ کی کتابوں کی لمبا عرصے کی قسطاً اجازت نہیں ہے، مسلمانوں کا اخلاقی و عرفی ہونا اور دین داری (تعاون فرما سنا) اور اپنی سبب ضرورت کتب کیلئے سدرج ذیل پتہ سے رابطہ قائم کرنا۔

محمد علی ندوی

ممبر مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ